

سنان أنطون

ليل واحد في كل المدن



منشورات الجمل

شعر

سنان انطون: ليلٌ واحدٌ في كلِّ المدن

سنان أنطون

ليلٌ واحدٌ في كلِّ المدن

شعر

منشورات الجمل

سنان انطون ولد في بغداد عام ١٩٦٧ وحصل على بكالوريوس في الادب الإنكليزي من جامعة بغداد. هاجر بعد حرب الخليج ١٩٩١ إلى الولايات المتحدة حيث أكمل دراساته وحصل على الماجستير من جامعة جورج تاون عام ١٩٩٥ والدكتوراه في الادب العربي من جامعة هارفارد بامتياز عام ٢٠٠٦. وكتب اطروحته عن شعر ابن الحجاج. نشر العديد من النصوص الشعرية والمقالات بالعربية والإنكليزية في السفير والنهار والقدس العربي والآداب ومشارف وغيرها وبالإنكليزية في The Nation, Ploughshares, Journal of Middle East Report, World Literature Today, Palestine Studies..

ترجم أكثر من مئتي قصيدة من الشعر العربي الحديث إلى الإنكليزية ورُشِحت ترجمته لقصائد محمود درويش لجائزة بين Pen للترجمة عام ٢٠٠٤. نشر رواية إعجام (دار الآداب، ٢٠٠٤) تُرجمت ونُشرت بالإنكليزية (عن دار سيتي لايتس عام ٢٠٠٦) وبالفرنسية (عن دار إل بي إس عام ٢٠٠٧) وبالبرتغالية (عن دار غلوبو عام ٢٠٠٨) وبالألمانية (عن دار لينوس عام ٢٠٠٩) وبالإيطالية (عن دار فيلترينيلي عام ٢٠١٠). نشر مجموعته الشعرية الأولى في القاهرة عام ٢٠٠٤ بعنوان موشور مبلل بالحروب. صدرت ترجمة لأشعاره بالإنكليزية عن دار هاربر ماونت برس عام ٢٠٠٧ بعنوان The Baghdad Blues. أخرج فلماً وثائقياً عن العراق بعد الغزو بعنوان About Baghdad (حول بغداد) صوّر في بغداد في تموز، عام ٢٠٠٢. عضو هيئة التحرير في مجلة بانبيال وفي مجلة Middle East Report. عمل أستاذاً للادب العربي في كلية دارتموث (٢٠٠٣ - ٢٠٠٥) ويعمل أستاذاً مساعداً للادب العربي في جامعة نيويورك منذ عام ٢٠٠٥. حصل على زمالة أكاديمية من معهد الدراسات العليا في برلين حيث أقام عام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩.

سنان انطون: ليل واحد في كل المدن، شعر

الطبعة الاولى ٢٠١٠

كافة حقوق النشر والترجمة والاقتباس

محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد - بيروت ٢٠١٠

تلفون وفاكس: ٠١ - ٣٥٣٣٠٤ - ٠١ - ٠٠٩٦١

ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣ بيروت - لبنان

© Al-Kamel Verlag 2010

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany

www.al-kamel.de

E-Mail: info@al-kamel.de



I ليلٌ واحدٌ

رأس

لم أكن شجرة
أو خروفاً
لكنهم تمتموا شيئاً ما
ثم قطعوا رأسي
بسكين عمياء
فتدخرج بعيداً
ورأيتني راعياً هناك
ويداي خلف ظهري
سكتت نافورة الدم بعد ثوان
ابتعدوا
دون أن ينظروا وراءهم
بعد ساعاتٍ جاءت الكلابُ الجائعةُ

تُشْمِشُمُ
فَقَلْتُ لَهَا: خُذِي حِصَّتَكَ
وَلَا تَبْقِي شَيْئاً مِنْ جَسَدِي
لَكْتِي تَوَسَّلْتُ إِلَيْهَا
أَنْ يَظَلَّ رَأْسِي
هُنَا
فِي قَعْرِ الْقَصِيدَةِ

برلين، ٢٠٠٩

أرِخْ قَرْنَيْكَ

الرَّيْحُ، اللَّيْلَةُ، ثَوْرٌ هَائِجٌ،

مُتَحَنٌّ بِالطَّعْنَاتِ

يَزْكُضُ فِي كُلِّ الشَّوَارِعِ

تَبْكِيهِ السَّمَاءُ بِحُرْقَةٍ

كُلُّ الْأَبْوَابِ مَوْصَدَةٌ

أَمَامَهُ

وَالنَّاسُ نِيَامٌ

إِلَّا أَنَا

أَقِفُ بِانْتِظَارِهِ

أَلْوَحُّ لَهُ بِقَلْبِي

وَأَهْتِفُ:

أرِخْ قَرْنَيْكَ،

هأهنا،
كي نثرف مفا

برلين، ٢٠٠٩

ربيع

لا أعرف
اسم الشجرة التي وقفتُ
شتاءً كاملاً تحت شُرفتي
لكنتي أعرف
بأنها الآن أصبحت طاووساً
يتبخترُ بألوانه
ويرفرُ
كلّما همست الريح بأذنيه
رسائلَ من إخوته
كم حاول أن يطير إليهم
لكن الأرض ترفض
فيتساقط ريشه على الرصيف

ويدوس عليه المازة
بعد أشهر سيتعب
سيطأطيء رأسه
ثم يتلاشى
أما الشجرة فستظل واقفة
تحلم به
في ليالي الشتاء

برلين، ٢٠٠٩

لا أزور أُمي

لا أزور أُمي كثيراً
فَبَيْتُهَا فِي آخِرِ الدُّنْيَا
وَبَارِدٌ جِدًّا
حَتَّى فِي صَيْفِ بَغْدَادَ
آخِرَ مَرَّةٍ زَرْتُهَا
لَمْ تَقُلْ الْكَثِيرَ
وَكَانَ الصَّمْتُ حَجْرًا
مَا زَالَ يُثْقِلُ كَاهِلِي
حَتَّى جَارَاتِهَا كُنَّ صَامِتَاتٍ
يَرْمُقُنِي بَعْيُونَ مَغْمُضَةً
دَمَدَمَتِ الرِّيحُ شَيْئًا
لَمْ أَفْهَمُهُ

ثُمَّ مَدَّ حَارِسُ الْمَقْبِرَةِ يَدَهُ

وَقَالَ:

«اللَّهُ يَرْحَمُهَا»

برلين، ٢٠٠٩

الشاعر

الشاعرُ نوحُ آخر
يمضى عمراً بأكمله
يبنى سفينةً من كلمات
يحشدها بالاستعارات والغيوم
يرفع عزلته شراعاً
لكنه يبقى دائماً ما يكفي
من الصمتِ
في الهيكل
كي يتسلل الماء إلى قصيدته
وتغرق جيداً
تغوص بهدوء حتى تستقرَ
في قاع البحرِ

كنزاً منسياً
يشع في الظلمات

برلين، ٢٠٠٩

ما هكذا جاء في الكتب

نكدح بصمتٍ ليلَ نهار. تشقق أيدينا من التجذيف وتتقوس ظهورنا من حمل الجثث. أرجلنا مصفّدة إلى قاع القارب حيث ننام والغربان تحوم فوقنا وتسرق كسرات الخبز وتنهش. كان الكلام ممنوعاً. لاشيء سوى صوت المجذاف ونعيق الغربان. قبل أسبوع، بعد أن أنزلتُ الجثة الأخيرة من حمولتي نسيتُ التعليمات وتمتتُ لِنَفْسِي:

- متى الخلاص؟ متى ينتهي هذا الطوفان؟ ما هكذا جاء في الكتب.

سمعني أحد الحراس. كان يقف على الضفة كرمح. فضحك بصوتٍ عالٍ وجلدني بالسوطِ المطرز بالمسامير وصرخ:

- «الكتب؟ أيها الأحمق! حتى نوح يعمل معنا. منذ عشرة آلاف عام والطوفان مستمر».

ثم رفس مقدّمة قاربي بقدمه ويصق قائلاً:
- عُدّ بالمزيد ولا تهدر الوقت بهذه الأفكار السخيفة، وإلا
قطعتُ رأسك وصنعتُ منه لعبة لإبني».

برلين، ٢٠٠٩

مُلاحَظَة عابرة

شفتاكِ ليلٌ ونهارٌ،
يقبّلان بعضهما البعض
في غفلةٍ من الوقت
أسكرا الشمسَ
فظلّت نائمة
حوّلا الأفق إلى نهرٍ
من كلام
يستحمّان فيه
ويسهران معاً
في صوتكِ

برلين، ٢٠٠٩

بَلَلْ

السَّمَاءُ صَافِيَةً الْيَوْمَ
كَأَنَّ الْأَلْهَةَ الْمُخْتَصِمَةَ سَهَرَتِ،
اللَّيْلَ كُلَّهُ،
تَصَقَّلُهَا.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ غَنِمَةً هَارِبَةً،
كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُهَا أَمْسٍ،
التَّجَأَتْ الْآنَ إِلَى الْقَصِيدَةِ.

أَغْلَقْتُ الْبَابَ وَرَاءَهَا،
أَسَدَلْتُ السُّتَائِرَ
وَأَدَعْتُ بِأَنَّهَا شَرَنْقَةٌ.

- فِي رَجْمِي نَهْرٌ،
سَيُرْفِرُ عَمَّا قَلِيلٍ.

وَيُحَلِّقُ لثَوَانٍ،
ثم ستسيلُ أجنحتُهُ.
- وماذا سيظلُّ لي؟
سألتها بأنانيّة.
فتنهذتُ وأجابتُ،
قبل أن تختفي:
- قصيدةٌ مبلّلة،
بذاكرة الماء.

برلين، ٢٠٠٩

ليلٌ واحدٌ في كُلِّ المدُنِ

نتكبيء على جذعِ نخلةٍ
احترقت منذُ سنين
لكن ظلُّها يُصرُّ
على أن يؤانسنا
حتّى في ليلِ الغرِبةِ
تلوح السعفاتُ مودعةً
من شبابيكِ أغنيةٍ قديمةٍ
عن النهرِ
قبل أن تختنقَ أمواجهُ
بالجثث
ونحن على ضِفَّةٍ ثالثةٍ
في كلِّ مكان

نراقبُ الأغنيةَ تفرقُ
هناك ما يكفي الليلة
حتى لأشباحِ الغرقى
الذين تحلقوا حول المائدةِ
بحثاً عن رؤوسهم المقطوعة
غداً
علينا أن نخرجَ جُثثَهُمْ
من الأغنيةِ
ونكفّنها بالكلمات

برلين، كانون الأول ٢٠٠٨

خمرية

بكاء غيمة أضاعت أخواتها
خذُ الشَّمْسِ إذ تَنْهَرُ
بِعُزِّيها في المرايا
وشوشاتِ الرِّيحِ للكُرومِ
وأسراؤها حين تغفو
على كَيْفِ الأَرْضِ
تردّدُ فراشة حمراء
حول زهرة خزامى
سَهَرُ العُروِقِ في التُّرابِ
حسرةُ الأَغْصانِ على ماضيها
إذ تحتضنُ النَبِيذَ في الدنانِ
شَهقاتِ إلهةِ انقراضِ عبادُها

رغبةً تَتَنظَّرُ في جَسَدِ أزمَلَةٍ
حُزْنُ شاطِيءِ ساعةِ الجزرِ
فرحِ الحريرِ حينِ يمسُّ نهداً
تَنافُسُ حلمتينِ على فمِ
أنيبِ ذئبِ أعمى
في ليلةٍ مقمرة
شهيقُ الأرضِ
بذورِ ألفِ قصيدة
وقصيدة
في هذه القطرة

برلين، ٢٠٠٩

ليلٌ بألفِ ضفّة وموتٌ بكلِّ اللغات

أكادُ أختنقُ كُلَّ صَباحِ
بالدّخانِ الهاربِ
من شبائِكِ الجرائدِ
إذ يحترقُ العالمُ داخلها
ترمقني الوجوهُ المسوودةُ
كأني مرآةُ خرساءِ
أكوامٌ من الفحمِ البشري
يكذِّ المصوِّرون لإخراجه
من قلبِ كلِّ لحظةٍ
وتحميله على عرباتِ
رُفميّةٍ

تنطلقُ إلى الأعمار البعيدة
التي تحوم في الظلمات
كذئاب جائعة
وتثقل كاهل الليل
إذ تقطر ظلاماً
يسيل في المساء من الشاشات
أجلس أمام واحدة منها:
موتٌ بكل اللغات
فبرج بابل انهارَ
ساحلاً تتراكم عليه الجثث
جسدي قاربٌ متعبٌ
وصمتي شراعٌ
جهاز التحكم صتارةٌ
ينتفض خيوطها كل لحظة
تتقلب القنوات والجثث
و حين تلوح الضفة الأخرى
من هذا الليل

أَتَبَيَّنَ آلِهَةَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ
وَقَدْ اسْتَوَتْ عَلَيَّ عُرُوشُهَا
أَنْزَلُ حَمُولَتِي
قَوَارِبَ عَلَيَّ مَدَّ الْبَصَرَ
وَرَجَالَ مَتَعَبُونَ
فِي الصَّبَاحِ أَرْتَقُ شِبَاكِي
وَأَبْدَأُ مِنْ جَدِيدٍ

برلين، تموز ٢٠٠٩

يومٌ عاديٌّ

كان يوماً عادياً. إلا أنّ أبي تأخّر كثيراً. صرخت أُمّي عندما فتحت له الباب. كان بلا رأس وكانت ثيابه ملطّخة بالدم. عانقها ليخفّف عنها، لكنها ظلّت تبكي. من يومها لم يأكل معنا أبداً وقال بأنه لن يشاهد التلفزيون. أعطى أخي الصغير وسادته وأمرنا بأن نسمع كلام أُمّي دائماً ونواظب في دراستنا. ثم ركع ليصلي ويحمد الله على ما تبقى. أما أختي الصغيرة فقد بكت كثيراً قبل أن تقطع رأس دميها وتدفنه في الحديقة.

نيويورك، آب ٢٠٠٩

تاريخ آخر

- ماذا لو كان هناك تاريخ آخر؟

قالها بجدية .

- هل تريد أن ترى ما كان يمكن أن يحدث لو حكّمنا العقل؟

وأشار إلى شاشةٍ عليها لائحة بالقرون والسنين .

- كلُّ شيء هنا!

ضغطتُ على «القرن العشرين» ثم اخترت «الحرب العالمية

الثانية» ثم «ألمانيا» .

المشهد الأول (بالأبيض والأسود):

أدولف هتلر معلم رسم في مدرسةٍ صغيرةٍ في برلين . متزوج

من إيڤا برون التي تعمل سكرتيرة في مكتب براتب جيد . لديهما

طفل أشقر يُشبه أدولف اسمه هانز . تعيش العائلة حياة بسيطة

نسيباً. إيڤا تحلم بشقة أكبر وبالسفر إلى باريس أو روما بعد نهاية الحرب. أدولف مزاجي وعصبي أحياناً. لكنه أب جيد وإنسان مسالم وقنوع وألماني فخور.

المشهد الثاني (بالأبيض والأسود):

أدولف وإيڤا يقفان على جانب الطريق مع الحشود لتحية موكب الفوهرر المهيّب. يهتف الجميع ويصفقون للفوهرر الذي يرفع، دون أن يبتسم، ذراعه اليمنى كرمح. «أريد أن أرى الفوهرر يا أبي» يهتف هانز، فيحمله أدولف على كتفه. يفرح الطفل وهو يلوح للفوهرر ولحاشيته ويهتف «هايل...» يشعر أدولف بالفخر وبشيء من الغيرة. لكنه لا يقول شيئاً عمّا يدور به ولا حتى لإيڤا. فستظنه مجنوناً.

برلين، نيسان ٢٠٠٩

كلمة

دوّختني
تكره المعاجم وتسخر منها
تراوغ كل الجمل
تريد أن تركض وحدها
تسبح في الصمت
تفضل أن تتأرجح
بين شفتي مجنون
أو أن تطل من همسة
على أن تكون مع أقرانها
توسلت إليها أن تهدأ
وتقف بهدوء
ولو للحظة

أن تبسم وتعانق جاراتها
من أجل القصيدة

برلين، تموز ٢٠٠٩

ملائكة على السقف

أراها كل صباح
في شقتي
تحَدّق من السقف
أكثر من عشرين ملاكاً
بأجنحة صغيرة ووجوه منهكة
كأنها على وشك أن تقول شيئاً
لكنها تظَلّ تحدّق بصمت
ما الذي تريده مني؟
أحياناً أنسى بأنها هنا
قبل أيام انكسر جناح واحد منها
فسقط على الأرض
بجانب سريري

تشظى رأسه في كل مكان
لعلّه تعب من أوزاره
فليس من السهل أن تكون ملاكاً
هذه الأيام
لم ألمسه
جاء الربّ في الصباح التالي
ونظر إلى أشلائه بلا رحمة
ثمّ كنسها
وألقى بجناحه
في سلّة المهملات
وقال بلكنة ألمانية:
إنها بناية قديمة، كما تعرف
سنرمم بقية الشروخ
ولن تسقط ملائكة بعد اليوم

برلين، نيسان ٢٠٠٩

الرغبة...

التي تعتريني
في يومٍ كهذا
لأن أهجرَ هذا الشكل
وأصيرَ غيمةً
أو شجرةً
أو قصيدةً
أن تسيل الـ «أنا»
وتتبخر
غيمةً تحوم
قبل أن تعلنَ نهايتها
وهي تقبلُ ألف شفة
في شجرة،

آخر شجرة في غابة
لم تعد غابة
وهناك دائماً شاعراً
يتأمل المشهد ويفكر
بالرغبة . . .

برلين، شباط ٢٠٠٩

الملاك الجديد (*)

«أعيش مع الموتى بقدر ما أعيش مع الأحياء»

بول كلي

العاصفة تأخذ قيلولةً
تحت جناحي الملاك
لكن ملاكك الجديد
ما زال ينظرُ نحونا
ستستيقظ العاصفةُ عمَّا قليل
وتواصلُ عملها الدؤوب
الحربُ جميلةٌ

(*) «الملاك الجديد» (Angelus Novus) عنوان لوحة شهيرة لبول كلي (١٨٧٩ - ١٩٤٠) أشار إليها فالتر بنيامين في أطروحته عن فلسفة التاريخ.

هنا

في لوحتك

على جدارٍ في برلين

العويلُ غارقٌ في الألوان

لدي سؤال واحدٌ فقط:

ماذا سأفعل بعد أن أخرج من المتحف؟

فحالما أصل إلى الشارع

تحاصرني أكوامُ الموتى

الذين رأهم بنيامين في لوحتك

مازال الجدُّ مستمرًا

حول عدد الضحايا

ووسادتي ملأى بالأشباح

II

مَعْبَر

صورة

(لطفلٍ عراقيٍّ على الصفحة الأولى من نيويورك تايمز)

جلس

على حافة الشاحنة

(في السابعة أو الثامنة من عمره؟)

أهله نيامٌ حوله:

أبوه

أمه

إخوته الخمسة

رأسه مدفونٌ في يديه

كلُّ غيومِ الأرضِ تنتظرُ

على أعتاب عينيه

...

الرجل الطويل الواقف قرب الشاحنة
مسح العرق عن جبينه
وشرع يحفر
القبر السابع

٢٠٠٥

علامة

يدلّق الويسكي على الوقت
يشيد بيتاً في النوم
جدارٌ واحدٌ يكفي لظهره
وجرائدُ الأمس تضحُ سقفاً
الحياة مؤجلة لساعة أو أقلّ
لكن الأشباح التي تجول في ماضيه
دائماً تصل في موعدها
لاهثة
كلُّ لحظةٍ قبرٌ مفتوح
شباكٌ لا بدّ من إقفاله
يُجادلُ الفراغ
«إنه مجنون»

يردد المازة

يضعُ أذنه على الأرض ليصغي:

قبورٌ جديدةٌ تُحَفَرُ

ستظهر أشباح أخرى

يهربُ بعيداً

تاركاً قطعة الورق المقوى

على الأرض:

«Gulf War Veteran»

نيويورك، ٢٠٠٧

حقيبة في نيويورك

خضراء

تتدلى كفاكهة استوائية

لمعان قشرها ينادي

فتمتد إليها يدُ

تقتربُ

تتحسسها

وتفكرُ بقطعها

يطأطيءُ الغصنُ رأسه

...

ما أبعدَها الآنَ

أبعد ما تكون

عن الأصابع التي خاطتها بسُرعة

والتي تتدلى الآن
كأغصان يابسة
من جسد صغير
ينام على مرتبة
تتن خيوطها من تعبها
على الجانب الآخر
من الكرة الأرضية

نيويورك، تموز ٢٠٠٨

رسالة إلى (شارع) المتنبي

كم كنت على حق
ما زالت كلماتك
أجنحة من ضوء
تحملك دائماً إلينا
(وتحملنا أحياناً إليك)
إسمك وشم أخضر
على وجه بغداد المتعب
وشارعك جبين
على رأس تقطع كل صباح
إنه فصل آخر
في ملحمة الحبر والدم
التي تعرفها جيداً

لا أخفيك سرّاً يا سيدي

أنا متشائمٌ

فما زلنا هنا

نحفرُ

على جِدَارِ هذا الكهفِ

الممتدُّ منذ آلاف السنين

نقوشاً نَظَلُّ نُعيدُ تفسيرها

وأساطير عن عالمٍ

لا نفترس بعضها البعض فيه

شمسُهُ ودودةٌ

ويحارُهُ لا تشكو الحمى

...

وما زال بعضها يحفر

قبراً أعمقَ

أوشك أن يحتضننا جميعاً

ولديهم نقوش جميلة

خرائط وفلاسفة وكتب

لكنا لا نملك إلا أن نطل
نحلم بساحلٍ للريح
وفي الظلام
بأظافر من عزلة وصمت
نحفر بئراً
ونسج من الحبر بحراً
لأساطيرنا
ومن اللغة شراعاً
أو كفنأ يكفي الجميع
كل كتابٍ بئر
نغرف منه
ونشرب نخبك
نتعلم كيف نعيش
مع الموت
وبعدہ

نيويورك، ٢٠٠٧

مَعْبَرٌ

في مطار El Paso (*)

بانتظار فالتينا

التي ستأخذني إلى الجانب الآخر

الجسر الذي يربط تكساس بالمكسيك اسمه: Cordoba

كلُّ شيءٍ هنا يهتفُ بهناكاته

تأخّرت فالتينا

والجنود يقفون

في طاوور يمتدّ كثعبان

يتضاحكون

يداعبون بعضهم البعض

(*) El Paso : «المعبر» بالأسبانية.

كنت سأشبههم بقطع ضباع
تكاد تشم صيدها
لكن عليّ ألا أمحو إنسانيتهم
أليس كذلك؟
إنهم مسالمون الآن
ينتظرون
بدلاتهم بلون الصحراء
رمل مبيّع
بساطيلهم نظيفة
كما يليق برمل الوجوه الذي ستطأه
على أرض بعيدة
هناك
حيث يقف رجال آخرون
في طابور أطول بكثير
بانتظار الموت

إيل باسو - نيويورك، آب ٢٠٠٨

غيوم

كل غيوم الأرض

تنتظر

في جسدي

وأنت

ريحها

وسماؤها

وأرضها

نيويورك، ٢٠٠٦

مساءً عابز (بالأبيض والأنت)

١

يطفو صوتك
كترجسة نعسانة
فوق ماء الليل
فأصيرُ ساحلاً
يفكرُ بالغرق

٢

كلُّ لمسةٍ
ظرفُ أبيضُ
يخبئُ عشراتِ الرسائل

التي يكتبها عرُيك
عن نفسه

٣

ثوبك
ظرفٌ مفتوحٌ
ونهداكِ
رسالتان
دائماً علي وشك
الوصول

٤

حتى أصابع الليل
تتهامسُ
وتفكر بتعريتك

٥

تجلس الأصواتُ

حول صوتك

لتصغي إليه

ويغار منه الحريرُ

من أرشيف اللذة

١

شعرك ليلٌ طويلٌ
يسهرُ المشط فيه

٢

شراييني أغصانك

٣

فمي على حلمتك
قطعةً
تحمل صغيرها الهروبَ
إلى الدفء

٥

النهر سعيدٌ
والغيمة أيضاً
لأن هذه القطرة
حطت على كتفك

٦

نبضي
آثار ذنبي
يركض في ليلك

٧

الأرض تحت قدميك
بيانو شاسع

III
تجاعيد
على جبين الريح

تجاعيد؛ على جبين الريح

١

الريح أمّ عمياء

تنعثر بالجثث

لا أكفان سوى الغيوم

لكن الكلاب أسرع

٢

القمر

مقبرةً للضوء

والنجوم نسوةً

يبكين

٣

تَعِبْتُ

من حمل النعوش

كتفا الريح

فاتكأت

على جذع نخلة

سألها قمر صناعي

عن وجهتها

تمتم صمْتُ عكازاها:

«بغداد»

فاحترقت النخلة

٤

تزحف

أصابع الجندي

كعلامات استفهام

أو مناجل

تنبش رحم الريح

بحثاً عن أسلحة

...

ليس سوى الدخان

وغبار اليورانيوم!

٥

كم هو ضيق

هذا الممر الذي ينام

بين حربيين

لكني سأعبره

٦

قلبي لقلق

ينام

على قبة بعيدة

في بغداد

عُشّه من عظام
وسماؤه من موت

٧

ليست هذه أول مرة
تغسل الأساطير وجهها
بدمائنا
ها هي
تحقق في مرآة الأفق
مرتدية عظامنا

٨

يسيل لعاب الحرب
فيلهث الطغاة والمؤرخون
وتضحك تجعيدة
على وجه طفل

سيلعب في فسحة

بين حربين

٩

الفرات

جنازة طويلة

تُطْبَطُّ المدن

على كتفيه

ويشيّعهُ

النخل

١٠

غرابان يقفان

على كتفي بغداد

واحد ينقرُّ من عينيها

والآخر

ينتظر

١١

يلعب الطفل
في حديقة الزمن
فتناديه،
من الداخل،
الحرب:
هيا!

١٢

القبر مرآة
ينظر الطفل فيها
ويحلم:
منى أكبر
لأصير مثل أبي
أكثر موتاً؟

١٣

الفرات ودجلة

وتران

في قيثارة الموت

ونحن أغنيات

أو أصابع

١٤

هنا أنا

منذ حربين ونصف

في غرفة

شباكها قبر

أخاف أن أفتحه

على الجدار مرآة

حين أقف أمامها

عاريا

تضحك عظامي

وأسمع أصابع الموت
تدغدغ الباب

١٥

أضع أذني
على بطن هذه اللحظة:
أسمع الآتي يثن
أضعها على لحظة أخرى:
نفس الشيء!

القاهرة، آذار - حزيران ٢٠٠٣

امتدادات الأوتار

١

أصابع العازف

تتسلق السلالم الموسيقية

وتحملني

الى سرير الغيوم

ثم تهبط

يتبعها الله

ينتحب

ويعتذر

عن كل شيء

٢

أوتار العود

تسحب روحي

من بئر الصمت

وتملأ قلبي بزرقه البحر

تهب أصابع العازف

على أغصاني

تقطفني

وتثرتني بعيدا

على جزيرة

خارج الوقت

وداخل قلبي

٣

هذا الجبل السري

يمتد من قلبي

الى ضفة الفرات

أقطعه كل صباح

وفي المساء

يضمده الحنين

٤

خيـط ينهمر

من عين الأبرة

في سواد ليل

يتعب الشمع

وهو يحصي دقائقه

خيـط ترفو به الأم ثوبا

ما زال يتذكر

عطر أسير تنتظره

منذ أحد عشر خريفا

ثوب

لن يرتديه . . . أبدا

٥

رِفٌّ

في أرشيف القلب
تتكدر عليه الميتات
المؤجلة
واشاعات
عن الفرحة

٦

خط الحدود الممتدة
على أرض الحنين
بين وطن... لم يكن
وآخر... لن يكون
خط
كلما جرّته يد الخيال
هنا(ك)

تعيده يد التاريخ

هنا!

٧

بكاء رجل

يتشبث بالخيط المسافر

من أصابعه

الى طائرة ورقية

ما زالت تتسكع

في سماء طفولته

خارج الزنزانة

...

ليلة الإعدام

٨

خيط حرير يتأوه

ويفكر بالهرب

من مشدّ أسود
خيطة تعب
ولا يريد منع نهدين
من تقبيل بعضهما البعض!

٩

شعاع لا مرني
يلضم قلبي
خلفه عطر امرأة
كانت ستمر أمامي
بعد عشرين سنة
لو لم تمت
في الحرب الأخيرة!

١٠

السطر الأخير
في مخطوطة

تأخر حرقها

ثمانية قرون

١١

روحي سطر

يتعلم الوجع

خط أسمائه

عليه

١٢

مسار الهجرة

الذي سلكه طير

في آخر موسم

قبيل الانقراض

١٣

قد يكون الوتر

في النهاية
مجرد وتر
يواسي أشلاء الشجر
المصلوبة في جسد العود
أو يحنُّ
الى وتر آخر
مصلوب
في عود بعيد!

القاهرة، حزيران ٢٠٠٣

قطراتُ أرقٍ؛ على جبين الليل

١

أصابعُ الأرقِ تقلِّبُ دقائقِ

تتصفَّحني

ليلي صحراء

والنوم... .

بدوّ رُحْل

أراهم

ي ق ت ر ب و ن

ي ق ت ر ب و ن

ي ق ت ر ب و ن

ي ق ت ر ب و ن

ي ق ت ر ب و ن

يقتربون

ليعلنوا

بأنهم

حروف السراب

٢

اليقظة وسادتي

وسادة حُبلى

بآلاف الطيور

ريشها يتزاحم

في رأسي

كل ريشة تخط أرقى

والليل حبر

٣

جفناي فراشتان

والظلام حقلهما

القاهرة، حزيران ٢٠٠٣

غربة

عيناى غربالان

يبحثان

فى أكوام الآخريـن

عنك

القاهرة، تموز ٢٠٠٣

رشفة

حين تحتضن أصابعك خصر الكأس

تستيقظ ابتسامة

في حلم رجل نائم

في ليل بعيد

أمضى يوماً طويلاً

ينفخ روحه

في زجّ الكؤوس

تهبّ ريح الياسمين من رسغك

وتداعب وسادته

حين تلمس شفتاك حافة الكأس

تعدو آلاف الخيول في سرايينه

يمتزج سهيلها بالخمير المنهمر من الأعالي
تبايعه النساء العاريات فوقها
نبينا مشاعيتا
لكنه يصحو
حين تضعين الكأس على الطاولة
ينظر إلى ساعته:
بعد ساعة
سيدخل يوماً آخر
كمن يدخل نفقاً طويلاً

القاهرة، آب ٢٠٠٣

مشهد

البحر يضع رأسه
على وسادة الأفق
ويأخذ قيلولة
أسمع زرقته
تتنفس
أصابع الشمس
تقبل شبق عريه
فتغار السماء

بيروت، نيسان ٢٠٠٣

تبخر

البحرُ قاموس للزرقة
تعكفُ الشمس على قراءته
جسدكُ أيضا قاموس
لرغباتي
الحرف الأول فيه
سيستغرق عمرا بأكمله!

بيروت - القاهرة، نيسان - حزيران ٢٠٠٣

رؤيا

فمك فراشةً وردية
تطيرُ
من كلمة الى أخرى
وأنا وراءها
أركض
في حدائق الصمت

القاهرة، ٢٠٠٣

إلى جنينِ عراقيّ

أتعلمُ

بأنّ كوّة الرحم

تطلُّ على وطن مصادِر؟

أتعلمُ

بأنّ غدك بلا غد؟

ودمك حبرٌ

للخرائط الجديدة؟

لا تخجل!

فالمعزّون قد شربوا قهوتك

ورحلوا

وأملك تنسج لك مرثية

من بُطءِ دقائقها

...

لا تخف!

لن تكون وحيدا

فأصدقاؤك كثر

ويزدادون كل يوم

ستلعب

أرواحكم معا

...

لا تتأخرا!

فقبرك ينظر الى ساعته

سنرتبُ عظامك برفق

ونضع جمجمتك كزهرة

فوقها

هيا!

تقدم!

نيويورك، آب ٢٠٠٢

أقمار

قمرٌ يُطلُّ
على الرصافة
قمرٌ صناعيٌّ
يحاور خبيراً
يجلس في قارة أخرى
سيقتل شاعراً
كان سيقف يوماً على دجلة
ليحاور الأقمار التي تعبره
كل صباح
وتلك التي يحملها في جيبه
الى الخليج

نيويورك، آب ٢٠٠٢

مريم عراقية

هزّي جذع هذه اللحظة
تُساقطُ عليك
موتا سخيا

بوسطن، آب ٢٠٠٢

موشوز مبلل بالحروب

سفرُ الخرابِ هذا

وهذه واحتنا:

زاويةً تتقاطعُ عندها الحروب

يتراكمُ الطغاةُ حول محاجرنا

وباحةُ القيدِ لا تتسع

إلا للتصفيق

فلنصفق!

هو ذا مساءً آخر

يتسلقُ شموع المدن المفقوءة

حوافر التكنولوجيا تهشمُ سماءنا

لكن المذيعِ يقِيءُ بياناتِ نيئة

ويحثنا على أن نصفق

فلنصفق!

بهيكل مظلة تحترق

نستقبلُ هذا المطر

ثم إله يضطجع على علمنا

لكن الأفق بلا أنبياء

قد يجيئون اذا صفقنا

فلنصفق!

سنعمد أطفالنا بالدخان

سنعلمهم كيف يألّفون نهيق الشعارات

سنحرث ألسنتهم

ونتركهم عند حلّيات محترقة

في ركام قادم

ونصفق

قبل أن ننسج خريفا لطغاتنا

لابد أن نقطع هذه المجرة
ونحن نردد:
كل حرب ونحن (لسنا) بخير!

بغداد، آذار ١٩٩١

حروب

ذات حرب
أخذت ريشة
مبللة بالموت
رسمت على جدار الحرب
نافذة
وفتحها
بعثا عن غد
أو حمامة
أو لا شيء
لكني أبصرت حربا أخرى
وأما تنسج كفنا

لقتيل
ما زال في رحمها

بغداد، ١٩٩٠

مقام الأسير

(الى أسرى الحرب العراقية - الايرانية

١٩٨٠ - ١٩٨٨ ، على الجانبين)

من أقصى الضباب

بعد أن ذبلت كل البيانات

وتعبت المدافع من البصاق

عاد

مضرجاً بال«هناك»

...

صمته مظلةً تحت الزغاريد

مرعبرنا الى صمت غرفته

كان العود متكناً في الزاوية

كم انتظرته الأوتار في خشب عزلتها

لكنه لم يقترب
في الليل
سال نشيجهُ عبر الجدران
أية لغة ستشرح للعود
أن ثماني سنوات
قضمت
عشر أصابع؟

بغداد، ١٩٩٠

درب اللبّانة

حلمتك

سنوات مدوّرة من الفراولة

ولساني

قبيلة من الأصابع اليتيمة

تقرأ الحليب النائم

على قبة معبد وثني

تأوه ملائكة

وشياطين

أعوم في نافورة

من لغات سحيقة

لكنها مجرّة مؤقتة

ففي الصباح

سيخفق استعاراتي

حرير المشد.

بغداد، ١٩٩٠

Phantasmagoria

مطرٌ أزرق
يحاور أوركسترا صامتة
في صباحٍ بعيد
يتعثّر المايسترو
على سلالم موزارت
تدلع الفراشاتُ
من أوتارك الصوتية
وتغزو ذاكرتي

إضاءة

في السماء
تنحني الأعمدة
تبحث عما يستحق الإضاءة
لكن الشوارع مكتظة
بالفراغ

بغداد، ١٩٨٩

إحداثيات

بابُ أنا
مذ كَبَلتني الخرائط
وأنتِ
أنتِ شبّاك
يراقب الدنيا
دون أن يغمض ستائره
كلانا يحمل عبء الجدار
لكن اذا حاولنا التقارب
تهدم البيت
وحذفنا بعضنا البعض
أنقاضاً!

بغداد، ١٩٨٩

لون

حين ترحلين
يدخل المكانَ طورَ الذبول
وأسقط في عزلتي
جرساً فقد رنينه
أجمع الغيوم التي بعثرتها شفتاك
أعاقها على جدران غربتي
وأنتظر صباحاً جديداً

بغداد، ١٩٨٩

لون ٢

اجتمعت أشجار التفاح
بين شفتيك
وأصدرت مرسوما
يقضي بتصدير اللون الوردي
الى أنحائي كافة

بغداد، ١٩٩٠

من وحي سيفيرس

«أحب الخريف»

قالت لي

ومن يومها

وأنا أتساقط

بغداد، ١٩٩٠

خليج

الخليج الذي يحتكر الفضاء

بيننا

سأعبره

غرفا

بغداد، ١٩٨٩

شعارات

جبين المدينة مرّقط بالبشور

شعارات عوانس

تبكي بالألوان

زواجها المستحيل

مع الواقع

بغداد، ١٩٨٩

الفهرس

٥ I - ليلٌ واحدٌ
٧ رأس
٩ أَرِحْ قَرْنَيْكَ
١١ ربيع
١٣ لا أزورُ أُمِّي
١٥ الشاعر
١٧ ما هكذا جاء في الكُتُب
١٩ مُلَاخَظَةٌ عابرة
٢٠ بَلَلٌ
٢٢ ليلٌ واحدٌ في كُلِّ المَدِينِ
٢٤ خمرية
٢٦ ليلٌ بالفِ ضفّة وموتٌ بكلِّ اللغات
٢٩ يومٌ عاديٌّ
٣٠ تاريخٌ آخر

٣٢ كلمة
٣٤ ملائكة على السقف
٣٦ الرغبة...
٣٨ الملوك الجديد
٤١ II - مَعْبَر
٤٣ صورة
٤٥ علامة
٤٧ حقيبة في نيويورك
٤٩ رسالة إلى (شارع) المتنبي
٥٢ مَعْبَر
٥٤ غيوم
٥٥ مساءً عابراً (بالأبيض والأنت)
٥٨ من أرشيف اللذة
٦١ III - تجاعيد على جبين الريح
٦٣ تجاعيد؛ على جبين الريح
٧١ امتدادات الأوتار
٧٩ قطرات أرق؛ على جبين الليل
٨٢ غربلة
٨٣ رشفة
٨٥ مشهد
٨٦ تبجر

- ٨٧ رؤيا
- ٨٨ إلى جنينِ عراقِي
- ٩٠ أعمار
- ٩١ مريم عراقية
- ٩٢ موشورٌ مبللٌ بالحروب
- ٩٥ حروب
- ٩٧ مقامُ الأسير
- ٩٩ درب اللبّانة
- ١٠١ Phantasamagoria
- ١٠٢ إضاءة
- ١٠٣ إحدائيات
- ١٠٤ لون
- ١٠٥ لون ٢
- ١٠٦ من وحي سيفيرس
- ١٠٧ خليج
- ١٠٨ شعارات

هذا الكتاب

لم أكنُ شجرةً

أو خروفاً

لكنهم تمتموا شيئاً ما

ثم قطعوا رأسي

بسكين عمياء

فتدخّرَج بعيداً

ورأيتني راکعاً هناك

ويداي خلفَ ظهري

سكتتُ نافورةُ الدم بعدَ ثوان

ابتعدوا

دون أن ينظروا وراءهم

